

الدين والنظرية النقدية قراءة في مواقف إرنست بلوخ وإيريك
فروم وماكس هوركهايمر حول الدين

أ.نابت عبد النور

- جامعة البويرة -

الملخص: تحاول الدراسة فهم موقف فلاسفة النظرية النقدية ا. بلوخ، وإفروم، وماكس هوركهايمر من الدين من منطلق تعدد التخصصات التي بحثوا فيها: التحليل النفسي (فروم)،

والانتولوجيا السياسية (بلوخ)، وعلم الاجتماع (هوركهايمر). وما يثير اهتمامنا هنا هو قدرة هؤلاء على الجمع بين الماركسية والتقليد اليهودي ومحاولة الاستفادة من المقولات الدينية.

Summary: Understand the position of the philosophers of critical theory (E. Bloch, Erich Fromm, Max Horkheimer on religion) is the aim of this study based on multidisciplinary positions (psychoanalysis, political anthropology, sociology). These philosophers could marry between Marxism and the Jewish tradition trying to invest religious categories.

مقدمة:

ساهمت الأزمات الروحية التي عاشها الغرب في بدايات القرن الماضي، والعودة إلى الدين في فتح النقاش بين عموم المختصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية حول الظاهرة الدينية ومن المدارس الفكرية التي أولت الظاهرة الدينية اهتماما خاصا من كافة الجوانب مدرسة فرانكفورت التي ظهرت في العشرينات من القرن الماضي ومن أهم الأسماء التي برزت وهي محل اهتمام مقالتنا هذه نجد إرنست بلوخ (1885-1977) وإيريك فروم (1900-1988) وماكس هوركهايمر (1885-1973).

ونماشيا مع هذا الاهتمام الذي أولاه هؤلاء الفلاسفة للموضوع نطرح التساؤل التالي: هل بقي للدين دور يلعبه في ظل هذه الأزمات الروحية؟

تاريخيا يمكن القول بأن النظرية النقدية أوتيار مدرسة فرانكفورت تمد بجذرها إلى الماركسية، عبر حلقات أسبوع الأعمال الماركسية، التي انبثقت منها فكرة تكوين معهد البحوث الاجتماعية، وكذلك يمكن الإشارة إلى أنه خلال مرحلة التكوين، عقد المعهد علاقات قوية مع لوكاش وكورش حيث أخذ عنها أعضاؤه تحليلهم لفكرة حتمية تغطي النظام الرأسمالي، التي احتلت لب النظرية النقدية، خلال إدارة جرونبرغ للمعهد¹.

إرنست بلوخ: في البحث عن معنى الجمالي للدين:

من الأسماء التي تواصلت مع معهد الأبحاث الاجتماعي، نجد والتر بنجامين، هرت ماركوز، إرنست بلوخ، هذا الأخير يمثل أهم الأسماء الفلسفية المجددة للفلسفة الماركسية، ولكن ماركسية بلوخ لا يجب أن تفهم في سياق إيديولوجي أو سياسي، لقد كان يرى في الماركسية النتيجة المنطقية لبعوثه الاستقصائية وصك بياض أمامي نحو أنسنة الإنسان، ذلك أن الفلسفة مع ماركس أصبحت إنسانية بالفعل، فلقد رسم ماركس طريقاً جديداً والمستقبلياً لا يمكن أن يتجاهل أفكار ماركس، فما حدث من تغييرات اجتماعية وسياسية واقتصادية في القرن العشرين أعطى قدراً من الأهمية للفكر الماركسي.

إن تقدير إرنست بلوخ لماركس لا ينف عن هذا الفيلسوف الألماني تواصله مع النصوص الدينية خاصة العهد القديم والإنجيل والسؤال المطروح هنا: كيف يمكن فهم هذه المفارقة بين ماركسية بلوخ واستخدامه لغة فلسفية مشبعة بمضامين لاهوتية؟

هذا التوجه نحو الربط بين الماركسية كإيديولوجية ثورية واللاهوت نلاحظه في النصوص الأولى لبلوخ في مؤلفه الأول: "توماس مونزر، لاهوتي التحرير"، وهذا لتأكيد فكرة القوة الثورية الكامنة في الدين، ومحاولة لتأصيل المفاهيم الاشتراكية كالثورة والعدالة الاجتماعية والمساواة.

بداية يجب الإشارة إلى أن الوثائق المتعلقة بحياة وفكر توماس مونزر تبقى غامضة، وما هو موجود يعبر عن وجهة نظر مارتن لوثر² الذي كان معاصراً لمونزر، ومعارضاً للرجل ولثورة الفلاحين التي ساندتها مونزر وكانت سبباً في إعدامه من طرف الأمراء الألمان عام 1525، لكن هذا لا ينف وجود دراسات تاريخية وفكرية عن مونزر ارتبطت عادة بالثورة الفرنسية وبكتابات المنظرين الماركسيين كإنجلز وكاوتسكي.

يعتقد إرنست بلوخ أن هبات الفلاحين، وخارج مظاهرها الاقتصادية يجب النظر إليها في جذورها العميقة وهذا إذا أردنا فهم الأحداث في ظروفها الزمنية، ولهذا يجب عدم إغفال الدوافع الخاصة في الروح الإنسانية خاصة في الفترات الزمنية التي تهيمن فيها العاطفة الدينية³.

هناك توجه لدى بلوخ لإبراز أثر المسار الروحي والديني لفهم تمرد الفلاحين الألمان، ذلك أن أية دراسة اقتصادية تبقى غير قادرة وبشكل كلي على تفسير شروط وأسباب ظهور حرب الفلاحين، كما أن التحليل الاقتصادي ينذر بتعظيم الطابع الأصلي لهذا الحدث التاريخي والمتمثل في للمضامين العميقة للتاريخ الإنساني الكامنة في حلم الناس بتحقيق مملكة الإخوة⁴.

وهكذا فإن رؤية بلوخ حول تفسير التاريخ تقرب من ماكس فيبر الذي أبرز دور القيم الأخلاقية في توجيه مسار الحضارة الغربية، ومبتعدا عن ماركس، فهذا الأخير في نظر بلوخ وتحت تأثير الوضعية نقل الشيوعية من المجال اللاهوتي ليضعها في ميدان الاقتصاد السياسي نازعا عنها أبعاد الألفية⁵.

إن الأساطير التي كانت سائدة في القرن السادس عشر والتي مفادها إمكانية تحقق مملكة الأخوة والألفية الثالثة ظلت في نفوس الناس وهذا ما ساهم في انبعاث الإيديولوجية الاشتراكية الوطنية.

لقد استخدمت النازية مصطلحات قديمة من منوال "الرايخ الثالث" والذي يعمل طابعا ثوريا ولكن بشكل عكسي، صحيح إن مصطلح الرايخ الثالث هو بمثابة تنويج ثالث لألمانيا بعد الإمبراطورية الوسطية، والإمبراطورية البسماركية، ولكن مجدد هذه العبارة مرلرفان بروك أضاف لها تقاليد صوفية جاءت من زمن مضى لأن مصطلح الرايخ الثالث كان يعبر عن حلم مثالي ذو طابع ثوري اجتماعي مصدره المهرطقة المسيحية والذي ارتبط أساسا بفكرة مجيء الإنجيل الثالث⁶.

في هذا السياق التاريخي، يحاول بلوخ أن يربط الأفكار السائدة أثناء الحكم النازي بالماضي ومضمون هذه الأفكار الاعتقاد بمتلر كقائد ومحرر لهذه الأمة الألمانية له ما يبرره نفسيا وطبيعيا وتاريخيا، فالرغبة في البحث عن مرشد وقائد أمر قديم، هذا الأمر يوجد في العلاقة بين الآين والأب في عالم الحيوانات. وتاريخيا مثل موسى الصورة الأول لقائد المضطهدين والذي قاده نحو الأرض الموعودة⁷.

وهكذا فإن فكرة المهر والقائد أو الفوهرر ارتبطت أساسا بفكر الألفية الثالثة، وكان الأب جواكيم دوفلور (12ق)، أول من نشر هذا الفكر مبشرا بعهد ثالث: فالمرحلة الأولى سماها جواكيم بعبودية القانون (العهد القديم)، أما العهد الثاني فهو حالة وسيطة بين الجسد والروح افتتحه المسيح بعهد الجديد، أما العهد الجديد الثالث الذي يسبق نهاية العالم والذي يولد الآن وفي هذه الفترة تنتفي رسالة إنجيل المسيح وتنزل الطائفة للمسيحية الأول من السماء إلى الأرض وتبدأ الأخوة الشيوعية ويسود السلم، لقد مثلت الفترة الأولى الخوف والثانية البحث والحكمة والثالثة مرحلة الحب والنور⁸.

لا يمكن إغفال حقيقة أخرى مفادها أن فكر الألفية الثالثة وجد في التمثلات اليهودية المبشرة بالخلع بعد نفي اليهود، وقد وردت هذه الأفكار في نبوة إشعيا⁹.

بأي حال من الأحوال لا يمكن وصف إرنست بلوخ بأنه لاهوتي لأنه اشتراكي الفكر ولكن اشتراكيته واقعية، فاشتراكيته لا تريد أن تحول حياة الناس إلى جحيم ولكن تهدف إلى وضع السماء على الأرض، إن الاشتراكية تريد أن تمرر كل جوهر للتاريخ فالهدف الأساسي لكل تغيير مستقبلي هو تحقيق المثل العليا على أرض الواقع.

إن اعتماد بلوخ لغة لاهوتية في التبشير بمستقبل واعد وخلصي للبشر لم يمنع من نقد رجال الاكلوروس الذين دافعوا عن الأغنياء وبرروا الجرائم والاضطهاد الممارس ضد اليهود والمراطقة¹⁰، وكان هذا الواقع التاريخي سببا مقنعا لاتهام الدين بأنه أفيون الشعب.

يعتقد بلوخ أن عبارة ماركس: "الدين أفيون الشعب" يجب قراءتها في السياق ما قامت به الماركسية المبتذلة عندما زعت العبارة من سياقها، وهنا يعيد بلوخ العبارة المقتبسة من كتاب ماركس: "مقدمة لنقد فلسفة الحق عند هيجل"، وفيها يقول ماركس: "الدين هو التحقق الخيالي للجوهر الإنساني لأن الكائن الإنساني لا يملك حقيقة الواقع... فمن جهة يعتبر البؤس الديني التعبير عن الواقع الحقيقي وفي نفس الوقت هو تعبير عن الاحتجاج ضد هذا البؤس الحقيقي، إن الدين هو صرخة الكائن المضطهد وقلب عالم بلا قلب وروح ظروف بلا روح، إنه أفيون الشعب، إن إلغاء الدين هو إلغاء لسعادة الشعب الخيالية وهذا الأمر يمثل شرطا أساسيا للسعادة الحقيقية"¹¹.

إن إعادة عبارة "الدين أفيون الشعب" ركز فيها بلوخ على عبارة الصرخة، الاحتجاج وهي مناسبة للتذكير بما كان يردده الفلاحون خلال حركتهم في قسمة، وكانت هذه الحرب وبدون تحفظ غطاء دينيا كما قال كاوتسكي وجاء نوع هذا القسم من الإنجيل كما لو لم يكن الدين عودة إلى أحضان الكنيسة¹².

إيريك فروم: الدين من وجهة نظر تحليلية نفسية:

ولد إريك فروم (1900-1980) لعائلة يهودية متدينة وكان والديه، مثل والدي ماركس، تحدا من سلالة مليئة بالأجبار، وكان فروم يروي قصة أحد أجداده الذي كان يملك متجرًا ولكنه يقضي الوقت في قراءة التلمود حتى أنه إذا جاءه زبون ربما صرفه إلى متجر آخر لكي لا يعيقه عن القراءة. ومن ناحية أخرى يشير كيلر¹³، إلى أن فروم كان في بداياته على صلة وثيقة بالحاخامات توبل ليهيام وبالمدسة اليهودية الحرة في فرانكفورت التي أسسها هذا الحاخام... ولم تكن تلك الصلة غريبة لأن فروم كان طوال حياة كما يقول كيلر، "غارقًا في دراسة التلمود"¹⁴.

بعد فروم من أبرز المجددين في التحليل النفسي، وصاحب الثورة الثالثة في علم النفس التحليلي، وكان من أهم كتبه: الهروب من الحرية (1941)، الإنسان من أجل ذاته (1947)، تشریح التدميرية البشرية (1973).

تركز اهتمامه في الظاهرة الدينية من خلال أربعة كتب: ستكونان مثل إلهين (1966)، عقيدة المسيح (1931)، التحليل النفسي والدين، وإصدار بالاشتراك مع "د.ت.سوزكي" وريتشارد دي مارتينو كتاب "بوذية الرن والتحليل النفسي" (1960).

وتفصيلاً لما قلناه سابقاً عن الجو الثقافي الديني الذي عاش فيه فروم، نجد أن معلم فروم وأفراد عائلته ينتمون إلى الأرثوذكسية اليهودية" قولاً وعملاً، ولم ينتج الجانب التقليدي لهذا النمط في الحياة من خلفية تقليدية سلطوية، بل كان تعبيراً عن الإصلاح اليهودي الليبرالي الذي يريد الاندماج في المجتمع الرأسمالي والتضحية بنمط حياة متأثر بما ورث عن اليهود منذ قرون¹⁵.

وهكذا فإن اليهود ظلوا محتفظين بهوية دينية خاصة ترفض الاندماج في المجتمع الغالب، وكان هذا سبباً في توجس الأغلبية المسيحية، ورفضهم لهم مما أثر في نمط عيشتهم المنغلق وتنامي العنصرية ضدهم.

إذن لعب التقليد الديني دوراً مهماً في الانغلاق، وهذا التقليد مؤسس لكل ميادين الحياة انطلاقاً من الفكر والإحساس والسلوك وكل العلاقات التي تجمع الفرد بمحيطه الإنساني والطبيعي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، وينتج عن ذلك أن كل مناقسة لأنواع أخرى من الإيتوس عند نفس الشخص والمعتنقين لنفس الديانة تكون غالبية. في هذه الحالة هناك نمط حياة مشترك قوامه التقليد الديني الذي يعتبر أحسن سلاح للفرد وللجماعة التي يعيش فيها من أجل

عيش هويته الذاتية، ولهذا السبب لا بد من رفض أنماط الحياة التي تقترحها الليبرالية ومجتمع التنافس وهكذا فإن الأرثوذكسية اليهودية التي ترى فيها فروم كانت تتميز بدفاعها عن فكرة المحافظة على الهوية الأصلية بالمحافظة على وحدة الدين والاحتراس من عدم الاختلاط بأنماط أخرى من الحياة المجتمعية¹⁶.

كانت أطروحة فروم فرصة لفهم منطق التجربة الدينية اليهودية، وحملت الأطروحة عنوان "القانون اليهودي: مساهمة في سوسولوجيا الشتات اليهودي" والتي تناول فيها ثلاث جماعات يهودية هي القرؤون والحسيديون ويهود الإصلاح، والملاحظ هنا أن المرء يجد الاهتمام الاجتماعي النفسي لفروم في أطروحته على الرغم من أنه لم يكن في ذلك الوقت يتوفر على أداة تحليل نفسية تمكنه من فهم وظيفة التضامن من اليهودي عن طريق اللاوعي، وقد وعى فروم في أطروحته بأنه مهما كان تنظيم نمط عيش مجموعة بشرية ما. وللمقصود هنا طريقة الإنتاج، تنظيم العمل، أشكال العلاقات الاجتماعية في الثقافات، وللممارسات السياسية والأخلاقية والدينية... الخ، وحتى في حالة تغيير هذه الظروف، فإن أشكال الإيتوس الموروثة تلعب دور المحافظة على التحام هذه المجموعة. ولم يرى فروم أشكال الإيتوس هذه كبنيات سيكولوجية ذات قوة ديناميكية خاصة بما إلا بمساعدة التحليل النفسي الفرويدي، ولكنه استطاع وهو في 22 سنة من عمره التعرف على التأثير المتبادل بين نمط عيش ما وأشكال الإيتوس¹⁷.

إن توضيح موقف إريك فروم يسبقه طبيعياً ومنطقياً استجلاء تحليل فرويد للدين. والدين عند فرويد أصله كامن في ضعف الإنسان في مواجهة قوى الطبيعة خارجة والقوى الغريزية في داخله، فالدين في مرحلة مبكرة من التطور البشري، حين يكون الإنسان غير قادر بعد على استخدام عقله للتعامل مع هذه القوى الخارجية والداخلية ويجب أن يكتبها أو يسوسها بمعونة القوى العاطفية الأخرى، وهكذا فهو بدلا من أن يتغلب عليها بواسطة العقل يتغلب عليها بواسطة العواطف المضادة، بالقوى الانفعالية الأخرى¹⁸.

يضيف فروم موضحا تصور فرويد قائلا: "وفي هذه السيرة نبشأ الإنسان ما يدعوه فرويد "الوهم" الذي تستمد مادته من خبرته الفردية بوصفه طفلا، فهو بمواجهته مع القوى الخطرة التي لا يمكن له التحكم فيها وفهمها في داخل نفسه وخارجها يتذكر، إن صح القول، وينكص إلى الخبرة

التي عاشها وهو طفل، حين كان يشعر بحماية الأب الذي يعتقد أنه ذو حكمة وقوة متفوقتين والذي يستطيع أن يكسب محبته وحمايته بطاعة أوامره وتجنب مخالفة نواحيه¹⁹.

بالنسبة لإريك فروم فإن الدين كما يستخدمه في تحليلاته لا يعني نظاما ينظم مفهوما معينا للرب، أو لمعبودات بعينها، أو حتى نظاما ينظر إليه باعتباره ديناً، وإنما نظاماً للفكر والعمل تشترك في اعتناقه جماعة من الناس يعطي لكل فرد في الجماعة إطاراً للتوجه وموضوعاً يكرس من أجله حياته²⁰.

يوضح فروم فكرته هذه مؤكداً أن هذا التعريف لا يصف لنا محتواه الخاص، فالناس قد يعبدون حيوانات أو أشجاراً أو آلهة مصنوعة من الذهب، أو من الحجارة، أو لها غير منظور، أو بشراً قدسياً أو زعيماً كالشيطان وقد يعبدون أسلافهم، أو أوطانهم، أو الطبقة، أو الحزب الذي ينتمون إليه، أو يعبدون المال أو النجاح، ويمكن أن يقودهم دينهم إلى تنمية نوازع التدمير أو روح المحبة، إلى تنمية النزوع للتسلط والسيطرة أو روح التكافل والتضامن إلى تنمية قدراتهم العقلانية أو إصابتها بالشلل²¹.

هناك حاجة دائمة للدين فالغرب في أزمة روحية باتفاق الملاحظين التقديين. إنها أزمة توصف بأنها توعلك وسأم وداء القرن وخمود الحياة وأتمة الإنسان واختراجه عن نفسه وعن أخيه الإنسان وعن الطبيعة. لقد اتبع الإنسان العقلانية إلى الحد الذي حولت فيه العقلانية نفسها إلى نفي كامل للعقلانية، ومنذ ديكارت أخذ الإنسان يفصل التفكير عن العاطفة على نحو متزايد، فالتفكير وحده يعد عقلياً، والعاطفة بصميم طبيعتها غير عقلية، والشخص "أنا" قد انشطر إلى عقل يشكل ذاتي، وهو الذي يجب أن يسيطر علي كما يسيطر على الطبيعة، وأصبحت السيطرة على الطبيعة بوساطة العقل، وإنتاج الأشياء أكثر فأكثر، هما الغائبان الساميتان للحياة، وفي هذه العملية حول الإنسان نفسه إلى شيء وأصبحت الحياة خاضعة للملكية، إذ هيمن التملك على الكينونة²².

إن واقع الإنسان المعاصر مناقض لغاية الحياة في الثقافة الغربية (اليونانية والعبرية والمسيحية على حد سواء)، فبينما كانت غاية الحياة كمال الإنسان في الفكر الغربي القديم، اتجه الإنسان الحديث إلى كمال الأشياء ومعرفة كيفية صنعها، والإنسان الغربي في حالة العجز الفصامي عن خبرة العاطفة، وهو من ثمة قلق ومكتئب ويأس ولا يزال يرقل يقول: "الكلام الذي لا يتبعه عمل" في غايات السعادة والفردانية وروح المبادرة ولكنه ليست له فعليا أية غاية²³.

بالعودة إلى تاريخ الفكر الغربي، كان فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو يتكلمون بحجة العقل وباسم اهتمامهم بسعادة الإنسان وتفتح روحه، وكانوا يهتمون بالإنسان بوصفه غاية في ذاته على أنه الموضوع الأهم في بحثهم، وكانت رسائلهم البحثية في الفلسفة والنظام الأخلاقي أعمالا في علم النفس في الوقت ذاته²⁴.

وإذا رجعنا إلى رؤية فروم للمسيحية وهي الدين الغالب في المجتمع الغربي، فإن تصويره حول تاريخ الدين المسيحي لا يختلف عن القراءات اللاهوتية المعهودة، ذلك أن المسيحية كان يمكن أن تظهر كحركة مشيخانية ثورية ذات أهمية تاريخية، كحركة يوحنا المعمدان، لكن المذهب المسيحي الأول لا يتوجه نحو المتعلمين ولا نحو الملوك وإنما وجهته الفقراء والمضطهدين والبؤساء والأشخاص الذين يعانون²⁵.

لقد كان المسيح يدعو إلى فكرة قرب مملكة الرب وكان يعلم أتباعه إلى أن يرو أفعاله كديانة لسيادة عهده²⁶. وأن الوصول إلى هذه المملكة يتطلب تغيرا كاملا لحالة الروح يكون فيه الإنسان مستعدا للتنازل عن ملذاته والتضحية بما يملك لإنقاذ روحه... وهكذا فإن إعلان هذه السيادة موجهة نحو الفقراء والذين يعانون والجوعى والعطشى وهم مستعدون للدخول في مملكة الرب، أما الأغنياء فإن الجحيم مصيرهم²⁷.

لم يبق هذا الوضع، فلقد تحولت المسيحية من ديانة للمضطهدين الذين ينتظرون يوم الحساب وعودة المسيح إلى ديانة الأغنياء والطبقات الوسطى المؤثرة في المجتمع، لقد كانت المسيحية ديانة بمجتمع الإخاء والمساواة دون تراتبية ولا بيروقراطية، وتحولت الكنيسة إلى انعكاس للملكية المطلقة للإمبراطورية الرومانية²⁸.

يفهم هذا التغير ضمن تحول المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، وتم ترسيم أسس العقيدة المسيحية في مجمع نيقية في عهد الإمبراطور قسطنطين وترسيخ الطبيعة المزدوجة للمسيح (بشرية وإلهية) ورمي كل من يرفض هذه الحقيقة بالكفر والهرطقة.

في نظر إيريك فروم، تحولت المسيحية من ديانة إنسانية إلى ديانة تسلطية، عندما تحولت من ديانة الفقراء إلى ديانة الذين يحكمون الإمبراطورية الرومانية، حيث، أصبح الاتجاه التسلطي في المسيحية مهيمنًا. مع ذلك، لم يتوقف النزاع بين المبدأين التسلطي والإنساني في المسيحية. وكان ذلك

هو النزاع بين أوغسطين وبيلاجيوس، وبين الكنيسة الكاثوليكية والجماعات المهترقة الكثيرة، وبين مختلف الطوائف ضمن البروتستانتية²⁹.

في حقيقة الأمر، إن مأساة الأديان الكبيرة كلها هي أنها تنتهك وتحرف مبادئ الحرية حلماً تصبح ضخمة تحكمها بيروقراطية دينية، وإلى حد ما تنوي للمنظمة الدينية والرجال الذين يمثلون الدور الذي تقوم به الأسرة، والقبيلة والدولة، وهم يتقون الإنسان في العبودية بدلا من تركه حراً، وهذا ما حدث في كل الأديان فلا يعود الله هو الذي يعبد بل الجماعة التي تزعم أنها تتكلم باسمه³⁰.

في مقابل الدين التسلسلي هناك الدين الإنساني الذي تتعدد صورته بتعدد الأديان، ولم يخف العنصر الإنساني، الديمقراطية في التاريخ المسيحي أو التاريخ اليهودي، ووجد هذا العنصر تعبيرا من أقوى تعابيره في التفكير الصوفي في كلا يحتاج إلى الإنسان كما يحتاج الإنسان إلى الله، وفهموا الجملة التي تقول إن الإنسان د خلق على صورة الله بأنها تعني الوحدة الجوهرية بين الله والإنسان، وليس أساس الخبرة الصوفية الخوف والخضوع بل الحب وتأكيد المرء قدراته، ليس الله رمزا لسلطان على الإنسان بل هو رمز لقدرات الإنسان³¹.

- ماكس هوركهايمر والخبين اللاهوتي:

لقد كان ماكس هوركهايمر اشتراكيا ملحدًا، أما نظريته للدين فقد كانت مادية وأمبيريقية وتاريخانية وطبيعية، بالنسبة له فإن كل التمثلات حول الإله هي نتاج الإحساس الإنساني ونفس الشيء يقال عن إسقاطات الإنسان الفاعلة للموضوعية، يمكن القول بأن نظرية هوركهايمر للدين إلحادية³²، يقول ماكس هوركهايمر: "ماذا تعني بالدين بالمعنى الإيجابي للكلمة؟ إنه يمثل الاندفاعية المحافظة على منطلقاتها ضد الواقع والمتعددة دائما عن الاختناق والتي تحذف إلى تغيير الأشياء وتدمير الإغراءات وتسيير للأحداث بشكل جيد" وبالمثل يكون الدين سلبيا إذا كانت الانطلاقة تتحول إلى تأكيد وإعلان حقائق مزيفة للواقع وداعمة للأكاذيب... إذا كانت الانطلاقة صادقة فهي لا تحتاج إلى خطابات وعظية ولا إلى تأكيد وتبرير وحده الواقع يستطيع إظهار ذلك³³.

هذا الكلام يؤكد ارتباط تصور هوركهايمر حول الدين بالتصور الميجلي والماركسي والفيورباخي، ذلك أن الدين نتاج تاريخي للأمل ورغبة إنسانية، لأن فكرة الإله منتجزة في الإحساس الإنساني، لكن هوركهايمر، وتماشيا مع فلسفته الإلحادية يعتقد أنه يمكن إثبات وجود إحساس بالإله

لدى الكثير من الناس، ولكن لا يستطيع تقديم إثبات مينا فيزيقي... إن هوركهائمر يأمل في أن يكون الإله موجودا وينزعج من كل فكرة تثبت العكس.

إننا نعيش في قرن الماركسية والفرويدية والوضعية لأننا نعيش في قرن بدون إله³⁴ بالنسبة لهوركهائمر، وفي الزمن الحاضر الإله غير موجود، وهذا بالنظر إلى قوة المذاهب المذكورة آنفا.

إن تصور هوركهائمر للدين لا يجب أن ينسبنا تناوله للمسألة اليهودية، فلقد عاش اليهود في أوروبا حياة العزلة لأسباب دينية وسياسية بحته رغم نجاحهم المالي والنقائي.

هذا الرفض والاحتقار الذي لاقاه اليهود أيام الحكم النازي في ألمانيا يسمى بمعاداة السامية، والذي يريد أن يفسر هذه المعاداة فإنه يجب عليه أن يرجع إلى الإيديولوجية الاشتراكية الوطنية، ذلك أن هذه الموجة الجديدة لمعاداة السامية تمثل رسالة النظام التوتاليتاري المنبثق من الليبرالية، إنه يجب العودة إلى توجهات الرأسمالية³⁵.

يمكن فهم ذلك بالرجوع إلى كتاب ماكس هوركهائمر جدل التنوير³⁶ الذي ألفه مع زميله تيودور أدورنو، إذ يقول م. هوركهائمر: "فالعمل المنتج للرأسمالي الذي يبرر ربحه بالعائدات التي تعود إلى صاحب المشروع في زمن الرأسمالية أو يترتب المدير كما هو الحال في أيامنا، كان إيديولوجية تغطي الطبيعة الحققة لعقد العمل وجشع النظام الاقتصادي، ولهذا السبب راح الناس يصرخون: أوقفوا اللص ثم يشيرون بالإصبع على اليهودي، لقد صار كبش محرقة لا للمناورات والتحركات الطردية وحسب بل وبمعنى عام لكل الإجراءات الظالمة التي تقترفها طبقة كاملة"³⁷.

لقد كانت معاداة السامية والاستعمار والإبادة مظاهر لفكرة العقل الأدائي وعلامة على فشل مشروع التنوير الذي طمح إلى تجسيد العدالة والحرية والسعادة وهي مثل نظرية لم تتحقق بشكل كلي.

هذه المواضيع كانت محاور مهمة لدى رواد النظرية النقدية (فروم، بلوخ، هوركهائمر)، ففي محاضرة ألفها ماكس هوركهائمر عنوانها النظرية النقدية بين الأمس واليوم كتب هذا الأخير: "إن ما يثير قلق النظرية النقدية هو مصير سلطة الفرد التي تضع شيئا فشيئا ونفس الشيء يحدث بالنسبة لمصور اللاهوت والدين في مجتمعنا الراهن فالدين واللاهوت ليسا فقط في أزمة وفي بعض البلدان انطفأت جذوتهما"³⁸.

هذه العودة للاهوت والذين تفسر بالنظر إلى طبيعة المشكلات البشرية (الغنى الفاحش، تناول المسكرات، الفضيحة، اللاعذالة، التي عددها مؤسس معهد البحث الاجتماعي، وهذا فإن العودة إلى التقليد والمقولات الدينية مهم لا كحقائق عقائدية وإنما وجب تحويلها إلى فكرة الحنين إلى الآخر والإحساس بمعاناته وهذا هو جوهر اليهودية المؤمنة بكائن أبدي كامل الصفات وعادل³⁹.

هذه العودة إلى الدين وبالتحديد إلى الفكر اللاهوتي ليست غريبة فالنظرية النقدية منطلقها نظريتين دينيتين: أولهما نظرية الخطيئة الأصلية، فإسعاد الإنسانية تمنحها الأم البشر، كما أن الثقافة الحالية هي نتاج ماضٍ مروع (الثورة الفرنسية مثلا)، أما النظرية الدينية الثانية فهي مستخلصة من مقولة تراثية تؤكد على أنه لا يمكن للإنسان أن يتشبه بالإله، ويفهمها هوركهايمر على أنه يستحيل تحديد الحق المطلق ولهذا السبب فإن كل الأحكام المعرفية والأخلاقية تظل نسبية، ذلك أننا نستطيع أن نبين أين هو الشر ولكن لا نستطيع تحديد الحق المطلق.⁴⁰

خاتمة:

خلاصة القول رغم أن هؤلاء الفلاسفة ينتمون فكريا للماركسية (بلوخ، فروم، هوركهايمر) إلا أنهم ظلوا يفكرون في إطار التقليد اليهودي، ذلك أن تقدمهم للمجتمع يظهر من خلال إدراكهم لمسألة المحرقة النازية متخذين من وجهة نظرهم حول الحياة المعطوبة والبربرية، والأنظمة الشمولية منطلقا لهم في تشخيصهم النقدي للحضارة الغربية، كما أن مواقفهم للدين أثبتت إيجابية المقولات الدينية وضرورة استعادتها بما يخدم الإنسانية.

- 1) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة د.محمد حافظ دباب، دار أوبا (ليبيا)، ط2، (2004)، ص25.
- 2) Ernst Bloch, Thomas Munzer, théologien de la révolution, traduit de l'allemand par Maurice de Gandillac union d'édition générale France, 1975, p20.
- 3) Ernst Bloch, Thomas Munzer, théologien de la révolution, op-cit, P79.
- 4) libid. P80.
- 5) libid. P81.
- 6) Ernst Bloch, héritage de ce temps, traduit de l'allemand par Jean la Coste, Payot (France) ; 1978, p117.
- 7) libid. p118.
- 8) libid. p124.
- 9) libid. p129.
- 10) Ernst Bloch, l'athéisme dans le christianisme, la religion de l'exode et du royaume, traduit de l'allemand par Eliane Kaufholz et Gérard Raulet, Gallimard (France), 1978, p77.
- 11) libid. p81.
- 12) Ernst Bloch, l'athéisme dans le christianisme, la religion de l'exode et du royaume, op-cit, p82.
- 13) دوغلاس كيلنر: أستاذ كرسي فلسفة التربية بجامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس).
- 14) سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2007، ص313.
- 15) إريك فروم: الإنسان المستلب وأفاق تحرره، ترجمة وتعليق د.حميد لشهب، تقديم د.راينرفونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر (المغرب)، 2003، ص24.
- 16) المصدر السابق، ص25.
- 17) إريك فروم: الإنسان المستلب وأفاق تحرره، ص25-26.
- 18) إريك فروم، التحليل النفسي والدين، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار (سوريا)، الطبعة الأولى 2012، ص74.
- 19) إريك فروم، التحليل النفسي والدين، ص74.
- 20) إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي عظيم، سلسلة عالم المعرفة، 1989، العدد 140، الكويت، ص127.
- 22) نفس المصدر.
- 23) إريك فروم، د.ت.سوزكي، ريتشارد دي مارتينو، بؤذية الزن والتحليل النفسي، ترجمة محمود محمد الهاشمي، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص115.
- 24) المصدر السابق، ص116.
- 25) إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ص64.
- 26) Erich Fromm, le dogme du christ et autres essais, traduit de l'américain par Paul Alexandre, éditions complexe (Belgique), 1975, p40.

- 27) Erich Fromm, le dogme du christ et autres essais, op-cit, p41.
- 28) Ibid, p41.
- 29) Ibid, p61.
- (30) إيريش فروم، الدين والتحليل النفسي، ص110.
- (31) إيريش فروم، الدين والتحليل النفسي، ص146.
- (32) نفس المصدر، ص110-111.
- 33) Rudolf Siebert, le relatif et le transcendant, la sociologie critique de la religion de Max Horkheimer, Traduit de l'anglais (Etas unis) par fabien Ollier et Henri vaugrand, l'harmattan, 2005, p44.
- 34) Max Horkheimer, notes critiques (1949-1969), sur le temps présent, tra de l'allemand parabine corneille et Philippe Ivernel, Payot, 2009, p144.
- 35) Rudolf, Sibert, le relatif et le transcendant, op-cit, p44-45.
- 36) Les juifs et l'Europe. Max Horkheimer, trad. de Jean-Louis Schlegel. Revue prérentaines, 1998, p77.
- (37) وضع هذا الكتاب في نهاية الحرب العالمية الثانية وهو بمثابة بيان إعلان فشل فلسفة التنوير.
- (38) جدل التنوير، شذرات فلسفية، ماكس هوركهايمر، تيودور أدورنو، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديدة، ص204.
- 39) Max Horkheimer, la théorie critique, traduction collective, présente par Luc ferry et Alain Renault, Payot, 1978, p360.
- 40) Max Horkheimer, la théorie critique, op-cit, P360-361.
- 41) Ibid

قائمة الكتب باللغة العربية:

- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق د.محمد لشهب، تقديم د.راينفونك، شركة نداكوم للطباعة والنشر (المغرب)، 2003.
- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي عظيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد 140، الكويت، 1989.
- إيريك فروم، التحليل النفسي والدين، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دار الحوار (سوريا)، ط1، 2012.
- إيريك فروم، د.ت سوزوكي، ريتشارد دي مارتنو، يوزية الزن والتحليل النفسي، ترجمة محمود محمد الهاشمي، أزمة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.
- توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة د.محمد حافظ دياب، دار أوبا وليبيا، ط2، 2004.

- سعد البازعي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي (المغرب)، ط1، 2007.
- ماكس هوركهايمر، تيودور ادورنو، جدل التنوير، شذرات فلسفية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة لشحة (ليبيا)، 2003.

قائمة الكتب باللغة الفرنسية:

- Erich Fromm, le dogme du christ et autres essais, traduit de l'américain par Paul Alexandre, éditions complexe (Belgique), 1975.
- Ernst Bloch, Héritage de ce temps, trad. de l'allemand par jean la Coste, Payot (créance), 1978.
- Ernst Bloch, l'athéisme dans le christianisme, la religion de l'exode et du royaume, traduit de l'allemand par eliane khaufot et gerard Raulet, gallimard (France), 1987.
- Ernst Bloch, Thomas Munzer, théologien de la révolution, traduit de l'allemand par Maurice de gandillac, union d'édition générale, France, 1975.
- Max Horkheimer, Notes critiques (1949-1969), sur le temps présent trad de l'allemand par sasine corneille et phillipe ivernel, Payot, 2009.
- Max Horkheimer, la théorie critique, traduction collective, presente par luc ferry et Alain Renault, Payot, France, 1978.
- Rudolf j, siebert, le relatif et le transcendant, la sociologie critique de la religion de Max horkheimer, traduit de l'anglais (Etats unis) par fabien ollier et henri vangrand l'harmattan, 2005.

- قائمة المجلات:

- (4) Les juifs et l'Europe, Max horkheimer, traduction de jean louis shlegel, revue pretentaines (France), 1998, N°09-10.

النظرية السوسيولوجية في علم الاجتماع
(خصائص وأنماط وواقع)

أ. الوبزة سي محمد

جامعة البويرة

ملخص: يسعى كل علم من العلوم إلى بناء نظرية تكون الموجه الأساسي لمختلف الدراسات، وعلم الاجتماع يحتوي على الكثير من النظريات الكلاسيكية والمحدثة، ويطلق عليها -بشكل عام- النظرية السوسولوجية، ولها خصائص وشروط ووظائف، فهي نسق استنباطي يتضمن مجموعة من الفروض، ويجب أن تكون واضحة ومحددة. وتُعد الإشارة أن هناك جدلا علميا كبيرا مستمرا بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، حول طبيعة النظرية المستخدمة في هذه العلوم، وما ينبغي أن تكون عليه النظرية باعتبارها الموجه الأساسي لكل من الدراسات النظرية المجردة أو الدراسات الميدانية (الإيميرية)، واعتبارها ذات أهمية كبيرة للعلماء. وفي هذا المسؤال ارتأينا ذكر تعريف للنظرية، وخصائصها، وطبيعتها، وأهم النماذج الموجودة في علم الاجتماع، مع إشارات إلى أزمة (المنهج) التي يعاني منها علم الاجتماع، وأخيرا دور علم الاجتماع في تطور النظرية السوسولوجية.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع، النظرية السوسولوجية، المنهج، النموذج.

Traduction : Toute science a pour but de découvrir une théorie qui dirigera par la suite différentes études, ainsi les sciences social sont riche en théories classique et moderne, mais elle est généralement nommée théorie sociologique : contient des spécificités, des Conditions, et des fonctions, c'est donc un système Hypothético-déductif qui contiens des Hypothèses, et qui doit être claire et spécifiée. Il faut signaler qu'il y a des différences entre la sociologie et les sciences naturel au sujet des théories utilisées dans ces sciences, et comment il faudrait qu'elles soient étant donnée qu'elle est le guide essentiel des études Abstraites et Empiriques, et les considère d'une très grande importance pour les savons. Finalement nous avons donné une définition pour la théorie, et ces spécificités, et sa nature, et au plus importants modèles qui existent en sociologie, en citant la crise (méthode) qui fait défaut en sociologie, et en fin le rôle de la sociologie dans le développement de la théorie sociologique.

Mots clés : sociologie, théorie sociologique, méthode, model.

Abstract : To discover a theory any science which aims to lead by Following the different studies and the social sciences are rich in classical and modern theories, but it is generally called sociological theory contains specificities, Conditions, and functions, so this is a hypothetical-deductive system who contain Assumptions, which must be clear and specified .

This false report that there are differences between sociology and the natural sciences about the theories used in these sciences, and how it would have to be given that it is the essential guide to Abstract and Empirical Studies, and considered of great importance to know.

Finally we give a definition for the theory and these characteristics, and nature, and the most important models that exist in sociology, citing the crisis (method) that is lacking in sociology, and ultimately the role of sociology in the development of sociological theory.

Keywords : sociology, sociological theory , method , model.

مقدمة: تعتبر النظرية المدخل الأساسي لإنجاز البحوث السوسولوجية (العلمية)، وعلم الاجتماع قام بإنتاج طرائق بحث ومناهج خاصة به، وسعى إلى تطوير طرقه التحليلية لتساهم في تطويره، ولكن الملاحظ هو تعدد هذه المناهج والطرائق واختلاف المفاهيم العلمية، وما يميز الحاضر الإنساني هو سيادة الفكر العلمي الذي يتضمن ضرورة ثبات الاتساق المنطقي، الذي يشكل العلاقة بين تشكّل البناء المعرفي والاعتماد على الواقع الذي يتناول طرقاً منهجية مقننة، وهما أساس المعرفة العلمية.

وعلم الاجتماع جزء من المعرفة الإنسانية، يحاول العاملون فيه الارتقاء بمستويات المعرفة فيه، وهو كذلك جزء من العلوم الاجتماعية ونتائج احتمالية، ولقد ظهرت فيه نظريات عديدة تتباين أحياناً بسبب الاختلافات الإيديولوجية، أو على أساس وحدة التحليل التي يتم اختيارها، ورغم التباين بين علماء الاجتماع في معنى النظرية، ولكن معظمهم تصوّر أنّ النظرية: تشكل نسقاً معرفياً منظماً ومنطقياً، ويتضمن هذا النسق تصوراً للواقع الذي يتناوله، ويتكون من قضايا ومفاهيم وتعريفات وافترادات.

● النظرية السوسولوجية : تعريفها، طبيعتها، وخصائصها: